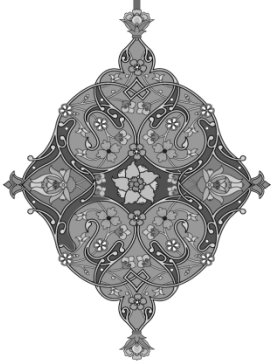

أهل الفضائل

تأملات في خطبة المتقين (١٩٣)

الدرس الثاني | منطقهم الصواب

الشيخ محمد حسن الحبيب

درس يومي بعد صلاة الفجر مباشرة ولمدة ١٥ دقيقة ، تابعونا طوال الشهر الفضيل على شبكة الحبيب وصفحات التواصل الاجتماعي

m-alhabib.com

مسجد الإمام الرضا(ع)

الدرس الثاني | منطقهم الصواب

قال أمير المؤمنين عليه السلام ﴿مَنْطِقُهُمُ الصَّوَاب﴾.

قال أهل اللغة: النطق هو التكلم، والمنطق هو الكلام.

والمنطق والنطق على ما نتعارفه هو: الصوت أو الأصوات المؤلفة الدالة بالوضع على معان مقصودة للناطق المسماة كلاما. (١)

وقد يستعمل (٢) المنطق في غير الإنسان كقوله تعالى ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ).﴾ سورة النمل، آية ١٦.

والقرآن الكريم استعمل النطق في معنى أوسع وهو: دلالة الشيء على معنى مقصود لنفسه. (٣)

قال تعالى ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ سورة الجاثية، آية ٢٩.

وقال تعالى ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ سورة فصلت، آية ٢١.

قال العلامة الطباطبائي: وهو إما من باب تحليل المعنى كما يستعمله القرآن في أغلب المعاني والمفاهيم المقصورة في الاستعمالات على المصاديق الجسمانية المادية كالرؤية والنظر والسمع واللوح والقلم والعرش والكرسي وغيرها، وإما لأن للفظ معنى أعم واختصاصه بالإنسان من باب الانصراف لكثرة الاستعمال. (٤)

والنطق في استعمال الفلاسفة والمناطقة هو: القدرة على التفكير المؤدي إلى التمكن من الكلام.

- **منطقهم الصواب**

قال العلامة المجلسي: المنطق؛ النطق أي لا يقولون إلا حقا ويحترزون عن الكذب والفحش والغيبة وسائر الأقاويل الباطلة، وقيل: أي لا يتكلمون إلا في مقام التكلم كذكر الله تعالى واظهار حق وإبطال باطل، وكأن الابتداء

بالمنطق لكون النفع والضرر في القول أكثر في الأغلب من أعمال سائر الجوارح. (٥)

ولتحقيق ذلك لا بد من تهذيب النفس وضبط الفكر فمن خلال ذلك يتمكن الإنسان من وضع كلامه في الاتجاه السليم.

- **تهذيب النفس**

الكذب والغيبة والنميمة والقذف والخوض بالباطل والفحش والسباب والبذاء وغيرها كثير هي أمراض نفسية تحتاج إلى علاج حتى يتمكن الإنسان من الوصول إلى الصواب في نطقه وكلامه.

واللسان مظهر لما في النفس وحاك لما يدور في خلجاتها فمن استبطن السوء في سريرته أبانه اللسان ومن عقد قلبه على الإيمان بالله أظهره اللسان أيضا.

قال الإمام الصادق عليه السلام ﴿وَفَرَضَ اللَّهُ عَلَى اللِّسَانِ الْقَوْلَ وَالتَّعْبِيرَ عَنِ الْقَلْبِ بِمَا عَقَدَ عَلَيْهِ وَأَقَرَّ بِهِ﴾.

قال الله تبارك وتعالى ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ وقال: ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلهُنا وَإِلهُكُمْ واحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾. فهذا ما فرض الله على اللسان وهو عمله. (٦)

وقال أبو بصير سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: كان أبو ذر رحمه الله يقول ﴿يَا مُبْتَغِيَ الْعِلْمِ إِنَّ هَذَا اللِّسَانَ مِفْتَاحُ خَيْرٍ وَمِفْتَاحُ شَرٍّ فَاخْتِمْ عَلَى لِسَانِكَ كَمَا تَخْتِمُ عَلَى ذَهَبِكَ وَوَرِقِكَ﴾. (٧)

وهذا لا يعني أن يكون اللسان بعيدا عن ساحة الإصلاح وضوابط المصلحين بل يكون في عمق العملية الإصلاحية جنبا إلى جواني الإنسان وسريرته، خصوصا وأننا نرى أن فلتات اللسان كثيرا ما أودت بأهلها في المهالك الدنيوية والأخروية مما يعني أن اللسان وإن كان معبرا عما في داخل الإنسان إلا أنه بحاجة إلى عقال يمنعه من الانفلات.

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿يُعَذِّبُ اللَّهُ اللِّسَانَ بِعَذَابٍ لَا يُعَذِّبُ بِهِ شَيْئاً مِنَ الْجَوَارِحِ فَيَقُولُ أَيْ رَبِّ عَذَّبْتَنِي بِعَذَابٍ لَمْ تُعَذِّبْ بِهِ شَيْئاً فَيُقَالُ لَهُ خَرَجَتْ مِنْكَ كَلِمَةٌ فَبَلَغَتْ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَسُفِكَ بِهَا الدَّمُ الْحَرَامُ وَانْتُهِبَ بِهَا الْمَالُ الْحَرَامُ وَانْتُهِكَ بِهَا الْفَرْجُ الْحَرَامُ

وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَأُعَذِّبَنَّكَ بِعَذَابٍ لَا أُعَذِّبُ بِهِ شَيْئاً مِنْ جَوَارِحِكَ﴾. (٨)

وهذه وغيرها من المعاصي كالغيبة والنميمة والبهتان والإفك والقذف المعبر عنها في الروايات بـ (حصاد اللسان)

السالكة بصاحبها نحو جهنم إلا من تاب وأصلح.

وهنا ينبغي أن نلتفت إلى أن البعض قد يقول كلمة ولا يتنبه إلى آثارها ومفاعيلها فكم من كلمة رفعت قائلها وأخرى وضعته بل قذفت به إلى أسفل سافلين.

قال الإمام الصادق عليه السلام ﴿سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله امْرَأَةً تَسُبُّ جَارِيَةً لَهَا وَهِيَ صَائِمَةٌ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِطَعَامٍ فَقَالَ لَهَا ﴿كُلِي﴾ فَقَالَتْ إِنِّي صَائِمَةٌ فَقَالَ ﴿كَيْفَ تَكُونِينَ صَائِمَةً وَقَدْ سَبَبْتِ جَارِيَتَكِ إِنَّ الصَّوْمَ لَيْسَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَقَطْ﴾﴾. (٩)

- **ضبط الفكر**

عوامل كثيرة تؤثر على فكر الإنسان مما يؤثر على لسان الإنسان وكلماته فيكون بعيدا عن الصواب في نطقه وهذا ما دفع بالعلماء للبحث في أسباب الخطأ بغية الوصول إلى

صيانة الفكر عن الخطأ وأسموا العلم المختص بهذا البحث علم المنطق.

ولسماحة المرجع الديني الأستاذ السيد محمد تقي المدرسي حفظه الله بحثا موسعا في هذا المجال في كتابه الموسوم بـ

(المنطق الإسلامي) حيث بحث فيه دام ظله عن أسباب الخطأ عند الإنسان كما ورد في الكتاب العزيز والسنة المطهرة.

قال سماحته عن ركائز المنطق: هناك عدة ركائز، يعتمد عليها المنطق الإسلامي، هي: معرفة العقل، والعلم، والجهل، والشهوات، ومعرفة ما يتصل بهذه الحقائق من بحوث، وهي ـ جميعا ـ في الواقع، بمثابة مفاتيح للفكر المنطقي والفلسفي في الإسلام.

وهذه البحوث هي: بحوث عن العقل، والشهوة، والسبيل إلى معرفة العقل، ثم العلم والهوى، والمقياس الذي يميز العلم عن الهوى، ورؤى الإسلام في علاقة العلم باليقين.

وخلاصتها أنها تعرف الإنسان بالمؤثرات التي تؤثر على تفكير الإنسان كالهوى والحب والتسرع وفقدان الثقة ووراثة الأفكار والتقديس الأعمى...الخ.

وهذه وإن كانت أمور مرتبطة بالنفس إلا أن تأثيرها شديد على الفكر وبالتالي يبعد النطق عن جادة الصواب.

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، ج١٥، ص ٣٥١.

(٢) قال صاحب الأمثل: و بالرغم من ادعاء بعضهم أن تعبير النطق و الكلام في شأن غير الناس لا يمكن إلّا على نحو المجاز .. إلّا أنّه إذا أظهر غير الإنسان أصواتا من فمه كاشفا عن مطلب ما، فلا دليل على عدم تسميته نطقا، لأنّ النطق كل لفظ مبين للحقيقة والمفهوم.و لا نريد أنّ نقول أنّ ما يظهر من أصوات الحيوانات عند الغضب أو الرضا أو الألم أو إظهار الشوق لأطفالها هو نطق، كلّا فهي أصوات تقترن بحالات الحيوان ... إلّا أنّنا- كما سيأتي في الآيات التالية- سنرى بتفصيل أن سليمان تكلم مع الهدهد في مسائل و حمّله رسالة ... و طلب منه أن يتحرّى جوابها.

وهذا الأمر يدلّ على أن الحيوانات بالإضافة إلى أصواتها الكاشفة عن حالاتها الخاصة ... لها القدرة على النطق في ظروف خاصة بأمر اللّه، كما سيأتي الكلام في شأن تكلم النمل في الآيات المقبلة إن شاء اللّه.

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٢، ص ٢٨.

(٣) الميزان في تفسير القرآن، ج١٥، ص ٣٥١.

(٤) الميزان في تفسير القرآن، ج١٥، ص ٣٥١.

(٥) شرح نهج البلاغة (المجلسي)، ج ٢ ص ٣٤٩.

(٦) الكافي ج٢ ص٣٥.

(٧) الكافي ج٢ ص١١٤.

(٨) الكافي ج٢ ص١١٥.

(٩) وسائل الشيعة ج ١٠ ص ١٦٢.